موافقات مشروطة ومسبقة قبل أن تصبح متسولاً!

متعهدون ومقاولون يوزعون المتسولين في شوارع بغداد!

نورفتاة تبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة ، تقول لم اعرف يوما معنى العائلة والبيت ،وكل ما أتذكره ان والدتي تركتني في أحد الاسواق عندما كان عمري ثماني سنوات وبعد ذلك اخذتني امرأة كبيرة في العمركانت تتسول في سوق الشورجة وتسكن في غرفة صغيرة قذرة ، في احد الفنادق في منطقة (البتاويين) وكنت اخرج معها يوميا للتسول ولكن بعد فترة لا اعلم اين ذهبت وبقيت في الشارع لانني لااعرف كيف اعود الى الفندق والمرأة تدعى ام ميسون وكانت تقول اليوم نذهب الى شارع الرشيد الذي اصبح اليوم بيتي ويديّ ووسادتي انام في الليل في مكان وعندما اصحو اجد نفسي في مكان آخر لانني احاول الاحتماء من الشباب في الليل واتهرب خلسة منهم كلما أستطيع ذلك. وبعد شروق الشمس ابدأ رحلة البحث عن لقمة اسد فيها جوع معدتي ، او عن خرقة استر بها جسدي لانني اتعرض الى الاعتداء والضرب وعندما ارفض يمزقون ملابسي ويفعلون بي ما يريدون!

تحقيق / ايناس طارق
تصوير : سعد الله الخالدي

ولأننا اردنا ان نكون قريبين من الاحداث التي تجري في الشارع وخصوصا ما يحدث مع الفتيات المتسولات كان لابد من التنكر بزي متسوله تتجول في الشوارع لمدة ثلاثة ايام .ولانني جديدة في العمل (التسول) كان لابد من ان نكون مستمعين لكل ما يقال من زملاء المهنة !

المتسولات والمتعهدون

تقول عبير نحن نتعرض الى الكثير من المضايقات و المتعهد (الذي يأتي يوميا بنا من منطقة .....) يؤمن لنا الحماية واحيانا يذهب لرؤية المتسولين الباقين والاطمئنان عليهم وانهم ما زالوا ضمن منطقته. نحن نتمكن بغيابه من انفاق بعض المال لشراء الطعام وكل يوم قبل انتهاء فترة بقائنا هنا في منطقة (الباب الشرقي) ومباشرة بعد الساعة الثانية ظهراً نخضع للتفتيش من قبل المتعهد لانه يقول انا متفق على استحصال نصف المبلغ منكم واذا اخفيتم شيئا من المال سوف يكون من حصتي الوارد لهذا اليوم بكامله! ونحن نوافق على ذلك لان المتعهد يوفر لنا المأوى والطعام ونحن ليس باستطاعتنا دفع ايجار منزل، ولا يمكننا ايجاد منطقة دون الاتفاق مع المقاول ، وتعتبر مهنة التسول سهلة وكامرأة اتعرض الى الكثير من المضايقات واسمع الكلام غير اللائق ولكنها افضل من لاشيء والمقاول لم يوافق على انضمامي اليهم لولا توسط اصدقاء زوجي لدى المتعهد.

ولمعرفة الفرق توجهنا بالسؤال الى احد الفتيان المتسؤلين في تقاطع ساحة الطلائع ،شارع حيفا قال: محمد ان المتعهد هو الذي يوفر فرص العمل في الشارع بعد الاتفاق مع عدة جهات لاتتدخل في عملهم مقابل نسبة من المال تدفع اسبوعيا وتعتبر ايجاراً عن المنطقة التي يوجد فيها المتسولون ،اما المقاول فهو الذي يجلب يوميا المتسولين الى المنطقة المتفق عليها مع المتعهد مقابل نسبة من المال تؤخذ يومياً من المتسولين لان المقاول يأتي ويذهب بهم يومياً من مناطق سكناهم الى المنطقه المتفق عليها ولا يستطيع المتسول التسول كيفما يحلو له بدون موافقة الجهات المسؤولة عن التسول.

وبعد مرور ما يقارب ساعة جاء شاب في العشرين من عمره يطلب مني المغادرة والبحث عن مكان آخر ولكني كنت مصممة على البقاء فقام الشاب بدفعي وقال اذا لم تذهبي سوف تتعرضين الى الضرب فقلت له اريد ان انضم اليكم فأجابني الشاب بعصبية (قابل هي كوترة) قلت له سوف اعطيك نصف المبلغ الذي احصل عليه اليوم على ان يسمح لي في البقاء قال سوف اتصل بـ (ابو احمد) اذا وافق لامانع عندنا ،المهم اتصل وحصلت على الموافقة وبعد ذلك حاولت استدراج الشاب ويدعى محمد بالحديث فقلت له ، ليس عندي مكان اقيم به واتعرض الى المضايقة كثيرا بسبب ذلك قال لماذا لاتأتين معي وآخذك الى مكان افضل يوفرلك، الطعام والمأوى مقابل خدمات تقدمينها لبعض الاشخاص؟ خيم الصمت على حديثنا فقلت له اريد ان اذهب للحصول على المال لان الشارع غير مزدحم اليوم ! وبعد ذلك تحدثت مع فتاة تبلغ من العمر عشر سنوات ، سألتها اين والدتك قالت والدتي عبير وانا اقف هنا لبيع المناديل الورقية ووالدي لايعمل ويقوم بضرب والدتي اذا لم تخرج الى العمل، وانا ايضا، واستدركت الفتاة وقالت: بعض الاشخاص يسمعونني كلاماً غير لائق وقبل فترة حاول اثنان من الفتيان سحبي الى سيارتهما لولا صراخي الذي اجبرهما على الفرار.

فتيات في مهب الضياع

تقول حمدية تبلغ من العمر سبعة عشرعاماً: لقد ورثت هذه المهنة من والدتي التي توفيت في انفجار منطقة السنك العام الماضي وتركت اخي ولم يتجاوز عمره سنتين وانا الآن اجلس على الرصيف وهو ينام بجانبي وقبل حلول الظلام اذهب الى غرفة صغيرة لاتتجاوز مساحتها عدة امتار وقبل خمسة اشهر تعرضت الى الاعتداء من ثلاثة رجال واصبت بنزف شديد نتيجة اجهاض طفل لم اكن اعلم انه يتكون في احشائي ولم اذهب الى المستشفى وانما الى احدى الدايات في المنطقة (القابله)!.

ولكن فجأة اصبت بهبوط في الحماسة او صعود الكأبة بسبب قصص هؤلاء النسوة المتسولات .والخوف من استغلالهن في عمليات انتحارية .لانهن بحاجة الى المأوى ،والمال وابعاد هواجس الخوف عن تفكيرهن ، كيف يكون وهن معرضات للضياع والتشرد وقد كن من فئات اجتماعية مختلفة مع الاسف بعض الظروف سمحت لهن بممارسة مهن اخرى اضافة الى التسول.

فتيات صغيرات لاتتجاوز اعمارهن الخامسة ،والسادسة عشرة يجبن الشوارع ليل نهار للبحث عن مكان يحتويهن من حرارة الصيف وبرد الشتاء تقول سارة ابلغ من العمر ستة عشر عاما أجوب الشوارع والإزقة والمحلات وسط كلام الشباب المتطفلين لاجد نفسي في زاوية احدى الغرف الرخيصة مقابل مبلغ زهيد يساعدني على تجاوز جوع معدتي اليومي وفي احيان كثيرة يضربني الشباب ولا أحصل على المال ،وكل ذلك لانه ليس لدي عائلة او اقارب. كان عندي صديقة قبل فترة ولااعلم اين اصبحت خرجت للتسول في شارع الرشيد ولم تعد الى المكان الذي كنا نلتقي به ظهراً وهو عبارة عن مكان قرب جسر السنك ! الكثير من القصص التي لايمكن ان يستوعبها الورق الخاص بالتحقيق ولكن السؤال الذي يمكن ان يطرح نفسه لماذا الفتيات الصغيرات اصبحن في الشوارع ، وهذا يسهل للأرهابيين وتجار الرقيق الابيض صيدهن بدون ان يعلمن شيئاً وبمعنى اوضح ان تساق الفتاة الى شبكات الدعارة الداخلية والخارجية ، وان تكون طعماً للأرهابيين لتجنيدها وتدريبها لتكون انتحارية والامر ليس محصوراً فقط بالفتيات وانما الفتيان الصغار يستغلون ايضا في تجارة المخدرات التي انتشرت بدون سابق انذار وهنا لانقصد ان السنين السابقة لم تنتعش فيها تجارة مخدرات انما كانت تحت الغطاء والآن انكشف الغطاء(فحدث ولا حرج) بمعنى اوضح ان الكبت واليأس الذي مارسه النظام المقبور على الشعب العراقي من سلطة ونفوذ وقوة جعلت حالة التمرد والرفض تظهر الان ساعدها بذلك الظروف الاقتصادية الصعبة وظروف اجتماعية نتيجة فقدان (الاب او الام) او كلاهما معا نتيجة الحروب السابقة او العمليات الارهابية التي حدثت في السنوات الأربع الاخيرة بعد سقوط النظام.. مجموعة من الاطفال تتروح اعمارهم بين الحادية عشرة والثالثة عشرة يلتفون حول بعضهم لعمل مخدر صناعي بحرق (السيكوتين ، والفلين) ومن ثم يستنشقونه حاولنا استدراج احد الصبيان مقابل مبلغ من المال فكان شديد الحذر والخوف ويدعى (دعبول) ولانني في ملابس متسولة تعاطف معي وجلسنا للتكلم لزرع الطمأنينة في قلبه سألني من اين انت قلت له من منطقة البياع استغرب الفتى وقال كيف اتيت الى منطقة الباب الشرقي (خلف حديقة الامة)؟ قلت له جئت مع عدد من الصبيان لان المقاول طردنا من منطقة البياع ونحن ثلاثة نتسول في الازقة الداخلية. سألته: ولكن لماذا تستنشقون السيكوتين والفلين؟ قال لاننا نكون في عالم ثان وننسى ما يحدث لنا فقلت له: وماذا يحدث لكم صمت الصبي، وقال يعتدون علينا لاننا نسكن في الشارع وقرب حاويات النفايات وهم كبار (تتراوح اعمارهم بين الثامنة عشرة، والخامسة عشرة) وهم يتناولون حبوب الارتين (الكبسلة).

ويأتون هنا في الليل ويطلبون منا توزيع الحبوب على بعض الاشخاص وهم يغيرون مكانهم يومياً وجراء ذلك نحصل على مبلغ (١٠٠٠، ٢٠٠٠) نشتري به الطعام. قلت له: هل تعرف من اين يأتون بالحبوب . قال من بعض الصيدليات. قال هل تريدين؟ قلت نعم وذهب الطفل بعد ان اعطيته مبلغ الفين وخمسمئة دينار وعاد الطفل بعد ٢٠ دقيقة بالضبط نعم ٢٠ دقيقة حاملا حبوب الارتين (الكبسلة) بين اصابعه. واعتقد ان ماذكرته يكفي من قصص لان المثل يقول (حدث ولا حرج) اذن اين دور رجال الشرطة والداخلية ودور وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ومنظمات المجتمع المدني وحتى المؤسسات الدينية المهتمة بإصلاح المجتمع لما يحدث في الشارع، وقبل فترة عقد مؤتمر ضم مدير شرطة بغداد وبعض المؤسسات الانسانية ونقل مايحدث للفتيات ولكن لم تعالج المسألة ونحن الآن نكرر لعل في الإعادة إفادة.

الرزق في النفايات .. والمستقبل مجهول!

ساعات الفجر الاولى في بغداد انطلاق مئات الاطفال والمراهقين بحثاً عن النفايات وهم بعيدون عن كتبهم وحقائبهم ومدارسهم والرقيب فضلا عن امتهان هذا العمل مئات النساء اللواتي تكلفن بمسؤولية عيش اولادهن بعد أن فقدن ازواجهن بسبب الحروب والعمليات الارهابية التي شهدها العراق...

بغداد / جعفر الونان

حكاية يوسف

يخرج يوسف (١٤سنة) فجر كل يوم (بحثاً عن الرزق) على حد تعبيره فهو المعيل الوحيد لأخوته الصغار وامه بعد أن فقد اباه في انفجار سيارة مفخخة في تموزالعام الفائت يتحدث يوسف عن عمله الذي أصبح مصدر رزقه الوحيد فيقول: العمل على تجميع مخلفات القناني الغازية وقطع النايلون شاق جداً وليس بالعمل السهل كما يتصوره البعض فتجميع كل كيلو من هذه النفايات مقابل ١٠٠٠ دينار فقط ، وهو ايضاً لايخلو من الخطورة فقد تعرض الكثير من اصدقائي الى انفجار العبوات التي يضعها المسلحون في الصباح الباكر لكن ليس هناك عمل آخر ويكمل يوسف حديثه عن عمله :بعد تجميع القناني نذهب الى المعمل لبيعها بأسعار بسيطة جدا لاتكفي لسد رمق العيش.

اسعد كامل (١٦سنة) قال :تركتُ المدرسة بعد أن تعرض ابي الى مرض عضال اقعده عن الحركة وبدأت العمل بتجميع النفايات كي أستطيع أن (اعيش عائلتي) فالمسؤولية الملقاة على عاتقي لاتطلب مني أن انتظر. هذا العمل يؤثر صحياً ام لايوثر بقدر ما افكر بأن احمل الطعام الى عائلتي عند العودة للبيت. اما منى ذات الاربعة عشر ربيعاً فقصتها لاتختلف كثيرأعن يوسف واسعد فهي ابنة لأبوين مطلقين تعيش مع امها في دارمهجورة وسط خراب معسكر الرشيد جنوب شرقي بغداد تدور على محال الاسواق لتجمع القناني وهي خائفة من المجهول.. ام احمد (٥١سنة) قالت: الفقر اولاً واخيراً هو الذي يجعلنا نعمل بهذا العمل الذي يسبب لنا العديد من الامراض. اما السائق: مازن كاظم وهو احد سائقي السيارات الخاصة بنقل النفايات من الحاويات الى المكابس الخاصة فيقول (هذه المهنة الطارئة على المجتمع تحتضن الاطفال والنساء الذين يسعون لتغطية نفقات عائلاتهم ومعظمهم يعيش في مناطق تعاني الاهمال مثل (سبع قصور والعبيدي ومدينة الصدر والفضيليه وباقي المناطق الفقيرة في بغداد والمحافظات) وهم من العوائل المسحوقة اقتصاديا وقد جعلتهم هذه المهنة يمارسون عملهم بعيدا عن مناطق سكناهم ويعملون احيانا بشكل سري ولا يحاول العاملون في هذه المهنة الكشف او إظهار انفسهم محاولة منهم لعدم تعريف انفسهم .

إعادة تصنيع

ويتحدث (ابو كوثر)٤٥ عاما صاحب معمل لضغط القناني الغازية المستهلكة في الحبيبية عن عمله (اشتري عبوات المشروبات الغازية الفارغة تكرار الحديد في الحبيبية او الباب الشرقي فانا اشتري الكيلو من معدن هذه العلب بمبلغ١٢٥٠ ديناراً ويصل اعداد الباعة الى خمسين بائعاً باليوم الواحد تتراوح اعمارهم بين (٧و١٦سنة) بمختلف الجنسين واعرب ابو كوثر عن قلقه جراء مضايقات وزارة الصحة اليه وتهديده بشكل مستمر الى اغلاق معمله الذي قد يحرم عشرات الاطفال والشباب من كسب قوتهم اليومي .

و تلاقي مهنة جمع نفايات قطع البلاستك والقناني الغازية منافسةعالية بين ممتهنيها فيقول زكريا هاشم ٢٢ سنة احد العاملين بجمع النفايات : بسبب كثرة المتهنين وتزايدهم اصبح هناك تنافس كبير فنقوم بالتسابق الى اماكن كثرة هذه النفايات بغية الحصول على اوزان اكثر من التي يحصل عليها اقراننا لنبيعها بالسوق مما يشكل لنا دخلا بسيطا وقد تظهر في بعض الاحيان مزايدات على هذه القمامة التي تنقلها السيارات وتتم المزايدات بين المشرفين على رفعها واصحاب المعامل او المستفيدين من هذه النفايات حيث تباع حمولة السيارة لليوم الواحد بمبلغ ثلاثين الف دينار عراقي.

الدكتور حسين الفياض طبيب اختصاص في امراض التلوث اكد للمدى أن "الفقراء يبحثون في القمامة على كل ما يمكن إعادة تدويره أو بيعه غير مدركين لما يمكن أن يصيبهم من جراء ذلك. فالأمراض البكتيرية والفيروسية تنتقل بسهولة من مخلفات المستشفيات والعيادات والمصانع العملاقة وقمامات البيوت الى اجسامهم مشيرا إلى أن المشكلة باتت تواجه أرجاء البلاد كافة وأن عوارض الاصابات بامراض التلوث والفايروسات اصبحت تملأ المستشفيات والعيادات الطبية.

اسباب...

لكل ظاهرة مقومات ترتكز عليها ولكل مقومات اسباب ،الظاهرة اصلها الفقر، والفقر ليس محلياً او إقليمياً بل هو دولياً حيث تشير المصادر أن ١٠٢من دول العالم يعاني سكنها الفقر بنسب متفاوتة بين دولة واخرى ،فالارجنتين اكبر دول العالم نسبة بعديد الفقراء الذين يعيشون بدرجات متدنية ثم تليها افغانستان والصومال والمغرب والعراق ودول اخرى. ليس هناك سبب في أن يعمل هولاء الاطفال بهذا العمل غير الفقر المدقع قيل في السابق الحروب تلد الفقراء، لكن فقراء العراق من نوع خاص هؤلاء الذين لايجدون مايسد رمق العيش في بلد اكبر اختياطي نفطي اشارت دراسة اخيرة اشرفت عليها منظمة يونسيف اسن الفرنسية أن قرابة خمسة ملايين طفل يتيم بينهم نصف مليون طفل مشرد واكثر من مليوني ارملة يعانون الفقر في العراق.....

وبرغم من أن العامل الرئيسي هو عديد الارامل والايتام لكن هناك عوامل اخرى ساعدت على (تجميع القمامة عند الاطفال والنساء) فالبطالة وعدم الاستقرار الاقتصادي للفرد العراقي وعدم قدرة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية استيعاب الكم الهائل للايتام والارامل.

تحذيرات ودعوات الى الحد....

تحذيرات من قبل منظمات دولية ومحلية عن تزايد عدد الاطفال والنساء بشوارع بغداد والمحافظات الاخرى بحثاً عن النفايات ،منظمة اليونسيف الدولية في بيان صادر عنها منتصف تموز(يوليو) الفائت اعربت عن قلقها ازاء استفحال ظاهرة الاطفال والنساء الذين يعيشون على بيع الفوارغ وان اكثر من نصف العاملين بتجميع النفايات معرضون للاصابة بأمراض خطيرة ، وحذرت نرمين عثمان وزيرة البيئة من هذه الظاهرة التي وصفتها بالكارثة الانسانية و البيئية الخطيرة واكدت على الاسراع الى وضع حد لها.

فقد رافقت التحذيرات والمخاوف من استمرار تشرد الاطفال والنساء في شوارع وازقة المدن ، دعوات من قبل بيئيين واجتماعيين ومنظمات مجتمع مدني الى ضرورة وضع حلول مشتركة ومدروسة لوضع ثقافة بيئية و صحية سليمة بعيدا عن المخاطرة بحياة العاملين بجمع النفايات، طرحت معظم هذه الدعوات في مؤتمر البيئة السنوي الذي اقامته عدد من منظمات المجتمع المدني المختصة بالشأن البيئي والصحي في٢ أب الماضي الذي اقيم على قاعة فندق الحمراء في بغداد تحت شعار (سبل الارتقاء بالواقع البيئي في العراق) حيث أكد المؤتمرون ضرورة انتشال الاطفال والنساء من خطر بيئي قادم قد يعرضهم الى فقدان حياتهم بدأت بالدعوة الى اقامة لجنة مشتركة من الوزارات الأربع (الصحة، البيئة، العمل والشؤن الاجتماعية، حقوق الانسان) المعنية مع المنظمات الدولية والمحلية. كامل فرج (٥٧) استاذ في جامعة بغداد احد المؤتمرين قال:تمحورت محاور النقاش في المؤتمر على كيفية الحد من هذه الظاهرة وليس السعي الى الغائها بل ايجا د بدائل مناسبة تضمن عدم تحول المشكلة من بيئية الى مادية وانما ايجاد حلول حقيقية وجذرية.